من تراثنا العلمي

فضائل مصر لابن زولاق

وصف وتلخيص لنسخة مخطوطة

للأستاذ على الطنطاوى

قال مؤرخ مصر الأستاذ عنان فى كتابه مصر الاسلامية إن لابن زولاق كتاباً يسمى فضائل مصر ، وقد يسمى أخبار مصر ، وإن بعض المؤرخين نقلوا عنه . وقد رأيت نسخة من هذا الكتاب فى المكتبة العربية العامرة فى دمشق أطلعنى عليها صديق الأديب الأستاذ احمد عبد وهاك وصفها :

مخطوط يقع فى (٦٣) صفحة من القطع المتوسط ، فى كل صفحة (٢٥) سطراً ، وهو مكتوب بخط قريب من النسخ ، وليس فيه ما يدل على تاريخ نسخه ، وإنما يوجد فى آخره هذه العبارة :

« طالعت هذا الكتاب المسمى بفضايل مصر وصفاتها للشيخ ابن ذولاق الليثى رحمة الله عليه وعلى كاتب هذه الحروف ومالك هذا الكتاب الحاج ابراهيم الشكورى الطرابلسى والمسلمين . تحريراً بأواخر شهر ذى الحجة فى سنة ١١١٥ ألف ومائة وخمسة عشر »

أما صفحة العنوان ففيها اسم الكتاب :

« كتاب فضايل مصر وصفاتها لابن ذولاق الليثى رحمه الله آمين » وفيها أسماء الذين ملكوا الكتاب ، بعضها ظاهر ، وبعضها غير ظاهر ، وهى مكتوبة بخطوط متباينة :

السيد هاشم باكيكج

الحمد لله . ملكه أفقر الورى أحمد الرشيدى الشافعى الأزهرى .

فقير عفو ربه الغنى عمر العمرى

الفقير محمد العمرى سنة ٢٠٩

الفقير محمد سعدى العمرى

* * *

وجاء فى أول الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين . الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى

١ — قال أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الحسين بن الحسن ابن على بن خالد — راشد بن عبيد الله سليمان بن ذولاق الليثى [1] :

هذا كتاب جمعتُ فيه جملة من أخبار مصر وفضايلها وصفتها ، اختصرته من كتابى الكبير فى (تاريخ مصر وأخبارها) ولم أذكر فى هذا الكتاب إسناد الخبر ليقرب على من أراده ، وبالله التوفيق

فأوّل ما ابتدئ من ذلك ، أن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه ، ذكر مصر فى ثمانية وعشرين وصفاً فى القرآن (وعدّد الآيات التى فيها ذكر مصر ، أو فيها إيماء إليها ، وذكر ما قاله العلماء فيها)

* * *

٢ — باب ماروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

ستفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً . (وسرد كثيراً من الأحاديث التى تدلّ على فضل مصر وأهلها ، ولكنه أوردها مجرّدة من الأسانيد ، ولم يذكر درجتها ومخرّجيها)

٣ — ذكر دعاء الأنبياء عليهم السلام لمصر

٤ — ذكر وصايا العلماء لمصر ودعاؤهم لها :

قال سعيد بن أبى هلال : إسم مصر فى الكتب السالفة أم البلاد . وقال عبد الله بن عمرو : أهل مصر أكرم الأعاجم ، وأسمحهم يداً ، وأفضلهم عنصراً ، وأقربهم رحماً بالعرب عامة ، وبقريش خاصة (وذكر مثل ذلك عن آخرين)

٥ — ذكر من ولد بمصر من الأنبياء ، ومن كان بها منهم

٦ — من كان فيها من الصدّيقين والصدّيقات :

(ذكر مؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون ، وأم اسحاق ومريم ابنة عمران وماشطة بنت فرعون ، وأن إبراهيم تسرى بهاجر أم اسماعيل ، وتزوج يوسف بنت صاحب عين شمس . وذكر مارية القبطية الخ . . .)

٧ — وأن مصر بلد الحكمة والعلم ومنها خرج الحكماء الذين عمروا الدنيا بكلامهم وحكمتهم وتدبيرهم ، فمنهم ذو القرنين وهو الاسكندر (وذكر القرية التى هو منها وذكره فى القرآن

(١) والمعروف فى كتب التراجم أنها زولاق بالزاى لا بالذال

وأنه به سميت الأسكندرية ، وأنه بنى اسكندرية أخرى ببلاد الخزر وثالثة ببلاد الروم الخ . .) ومن مصر جماعة الحكماء ، هرمس[1] وهو المثلث بالنعمة ، نبيّ وحكيم وملك (وعدّ فيمن خرج منها طائفة كبيرة من الفلاسفة والحكماء ثم قال) فهؤلاء حكماء الأرض وعلماؤها الذين ورثوا الحكم ، من مصر خرجوا وبها ولدوا الخ . وكانت مصر يسير إليها في الزمن الأول طلبة العلم الخ . . وبمصر من العلوم التي عمرت بها الدنيا علم الطب اليوناني الخ . .

٨ — ذكر من ملك مصر من الطوفان إلى أن فتحت بالاســـلام :

ملك مصر ثلاثة وخمسون ملكا ، أولهم مصر بن نيصر بن حام بن نوح . وآخرهم هرقل الرومي وكسرى الفارسي ، منهم أربعة وثلاثون فرعوناً ، ممن طغى وتكبر وادعى الالهية ، ومنهم من عمّر أربعمائة سنة وأقلّ وأكثر ، ولم يكن أعتى ولا أشدّ من فرعون موسى ، ولم يكن من أولاد الملوك ، وإنما أخذ مصر بحيلة (وذكر هذه الحيلة ، ثم جاء بأخبار طويلة عنه وعن بختنصر ، ولم يسمّ إلا قليلاً من سائر الفراعين)

٩ — ذكر من ملك مصر في الاسلام من الولاة منذ فتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين من الهجرة الى سلخ شعبان سنة اثنين وستين وثلاثمائة (واثني عشر)

أولهم عمرو بن العاص وآخرهم جوهر ، منهم أربعة عشر من بني هاشم ، وعشرة من قريش ، واثنان من الأنصار ، وسبعة وثلاثون من سائر العرب ، واثنان وأربعون من الموالي ، الى أن دخلها المعز لدين الله أبو تميم — بن اسماعيل المنصور بن محمد القائم ابن عبد المهدي ، وصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وقد عملت في ذلك كتاباً

١٠ — ذكر من دخل مصر من الخلفاء قبل المعز (عدّ فيمن دخلها منهم ابن الزبير في الجيش الذي فتح المغرب أيام عثمان ، ومعاوية بلغ الى عين شمس ولم يدخلها ، ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك وعمر بن عبد العزيز الخ . . .)

١١ — ذكر عمال الخراج بمصر ، وذكر قضاتها :

ولي بمصر من عمال الخراج منذ فتحها المسلمون الى سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة ، واحد وعشرون ، منهم من جمع لهم الحرب والخراج ، ومنهم من انفرد بالخراج (وعدّ طائفة منهم ثم قال :) وقد شرحت ذكرهم في التاريخ

وأما قضاتها منذ فتحها الى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فهم واحد وستون قاضياً ، أولهم قيس بن أبي العاص وآخرهم علي بن النعمان ، فمنهم من أقام خمساً وعشرين سنة مثل بكار بن قتيبة ، ومنهم من بلغ عشرين سنة وأقل من ذلك ، وأقل من وليها يحيى ابن أكثم ، ولي ثلاثة أيام والمأمون بمصر ، ثم صرفه وسيّره معه الى الثغر

١٢ — ذكر من دخل مصر من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ومن توفي بها منهم

١٣ — ذكر من كان بمصر من عيون العلماء والرواة وطبقاتهم : يزيد بن أبي حبيب ، وعمر بن الحارث ، والليث ابن سعد[1] والفضل بن فضالة ، وعبد الله بن وهب ، وأشهب بن عبد العزيز الخ . . وسكن بمصر محمد بن ادريس الشافعي الخ . . وكان بمصر جماعة بعد هؤلاء : أيوب بن سليمان الفارضي ، ويوسف بن يحيى البويطي ، وأحمد بن صالح ، واسماعيل بن يحيى المُزَني الخ . . وكل هؤلاء مُفْتٍ ، ومنهم من يفتي في علوم ، وقد صارت مؤلفاتهم

وكان بمصر من المحدثين المسندين : حرملة بن يحيى وعيسى بن حماد ويونس بن عبد الأعلى الخ . . والحسن بن علي بن زولاق جد أبي ، وجماعة سوى هؤلاء . وكان بعد هؤلاء جماعة منهم محمد ابن زمان واسماعيل بن داود الخ . .

وكان بمصر من الفراض المؤلفين : أيوب بن سليمان والحسن ابن محمد الخ . . . وكان بمصر من عيون حفاظ الحديث محمد بن أحمد بن عبد الحميد الخ . .

وكان بمصر من رواة الحديث والأخبار والفقه : سعيد بن عفير وسعيد بن أبي مريم الخ . . وبعد هؤلاء الحسن بن علي بن زولاق جد أبي ، ويحيى بن عثمان الخ . . وبعد هؤلاء علي بن حسن بن قديد الخ . .

وكان بمصر من عيون النحويين عبد الملك بن هشام ، ومحمود النحوي الخ . .

وكان بمصر من عيون الشعراء الخ . ونصيب وجميل وبها توفي . والأخوص وابن قيس الرقيات وأبو نواس الخ . . وجعفر

(١) قال في موضع من الكتاب أن هرمس هنا جوادريس

(١) سنفرده بالترجمة في (رسالة) آتية

ابن حدار ويوسف بن المغيرة والحسن بن عبد السلام واسماعيل ابن أبي هاشم ومحمد بن الحسن الخ . .

وكان بمصر من المتكلمين حفص الفرى واسماعيل بن يحيى الخ وكان بمصر من النساب هانئ بن المنذر ومحمد بن أحمد الحداد الخ وكان بها من الزهاد وأصحاب الوعظ سليمان بن... (وعدّ جماعة)

١٤ — ذكر عيون أشراف مصر ومن دخلها من آل أبي طالب وأول من دخل منهم :

قال : كانت مصر دار تشيّع منذ أيام محمد بن أبي بكر ، وهرب من مصر جماعة من شيعته — عند دخول مروان بن الحكم اليها وماصنعه بأصحاب مسجد الاقدام — وكان أهل مصر لا يؤوّلون فى فتاويهم إلا بما يردّ جواب جعفر الصادق رضى الله عنه

وسافر إلى مصر جماعة من العلوية ، وكان أول علوى دخل مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، دخل يدعو إلى بيعة أبيه وعمه ، فسعى به إلى حميد بن قحطبة أمير مصر ، فراسله سراً إشفاقاً عليه الخ . . وتوفى علي بن محمد بريف مصر الخ . . ثم دخلها اسحاق بن جعفر بن محمد الخ . . ومعه زوجته نفيسة بنت زيد وتوفيت بمصر فأراد حملها إلى المدينة فسأله أهل مصر دفنها بمصر ، واتخذوا قبرها مشهداً وهو باق إلى اليوم معروف . ثم دخلها محمد بن جعفر الخ . . وكلثوم صاحبة القبر المشهور ابنته (وذكر سائر من دخلها منهم وأخبارهم ووفاتهم فى فصل طويل)

١٥ — ذكر من حدّث بمصر من ولد ابى طالب (عدّ أسماء جماعة منهم ثم قال) ولو شرعت فى شرحهم لخرج الكتاب عن فنه

١٦ — ذكر من عُدّل بمصر من العلويين وقبل القضاة شهادتهم

١٧ — ذكر من كان بمصر من وجوه العباسيين

١٨ — ذكر التشيع بمصر والبيوتات المتشيعة :

قال يزيد بن أبي حبيب فقيه مصر : أقلبت [1] أهل مصر عن التشيع إلا جماعة : يعنى بيت بنى لهيعة وبنى نُباته ، وكان أهل مصر يكتبون بمسائلهم إلى جعفر الصادق رضى الله عنه ولا يعدلون عن فتياه . ولما قدم عليهم اسحاق بن جعفر حفّوا به كالكعبة ، ولما توفيت زوجته نفيسة الخ . .

وأما البيوتات المعروفة بمصر بالتشيع المكشوف قديماً فمنها : عبيد الله بن لَهيعَة وعباس بن لَهيعَة ، وكان الليث بن سعد فقيه مصر لما أحرقت دار عبيد الله بن لهيعة أرسل إليه الليث بألف دينار وقال استعين بهذه وأعفنا من فضائل على بن أبي طالب ، فأخذها عبيد الله وأنفذ إليه حديثاً من فضائل على ليغيظ به الليث !

ومنها بيت الحسَن بن على بن زولاق جد أبي . بيت علم ونسك وفقه ورواية ، وإنما احتمل له التشيع لفقهه وإتقانه وتفقّهه فى الرواية ، وكان مقبول الشهادة منذ سنة عشرين ومائتين إلى أن توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، وكان عليه قولاً لا يُملى حديثاً أو يبتدئ بفضائل على رضى الله عنه

وكان بعده ابنه الحسين جدى ، وابن ابنه ابراهيم والدى رحمه الله . ومنهم . . (وعدّ طائفة منهم)

١٩ — ذكر من كان بمصر من عيون الفرسان

٢٠ — ومصر فرضة الدنيا الخ . . وكذلك ساحلها بالقلزم ينقل إلى الحرمين والى جدة وإلى عمان وإلى الهند وإلى الصين وصنعاء وعدن والسند وجزائر البحر

ومن جهة دمياط والفرما ، فرضة بلد الروم وأقاصى الأفرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام إلى حدود العراق

ومن جهة الاسكندرية فرضة أقريطش وصقلية وبلد الروم والمغرب وبلد البربر والحبشة والحجاز واليمن

وأما ما فيها من ثغور الرباط ، فمن ذلك رباط البرلس ورباط رشيد ورباط الأسكندرية ورباط ذات الحمام الخ . . وما ينضاف إلى هذه الثغور وجهاتها الخ

وكانت برقه وطرابلس من ثغور مصر إلى أن خرجت منها فى سنة ثلثمائة فأضيفت إلى رباط المغرب

٢١ — وأما المساجد الشريفة (فعد منها كثيراً ثم قال) وبمصر مساجد الصحابة سوى ما ذكرناه . . . عدتها مائتين ثلاثة وثمانين مسجداً (؟) كانوا يبنونها بالآجر الأحمر ويبنون منازلهم باللبن وأكثرها باق إلى اليوم . منها . . (وعدّ طائفة منها ، ثم قال) هذه مساجد الخطط التى بناها أصحاب رسول الله (ص) سوى ما حدث بعدهم وبعد استقرار الخطط الخ . . وبالقرافة ونواحيها مساجد منها : مسجد الاجابة ، ومسجد الكرب ، وبها دار الأبرار

٢٢ — وبمصر من البقاع الشريفة :

(عدّ ما شاء ثم قال :) ولولا أنى اشترطت الاختصار وأن أذكر عيون كل من الأخبار لأطلت كتابى هذا

للبحث بقية

على الطنطاوى

(١) لعلها أقلعت